

INDONESIAN JOURNAL OF ARABIC STUDIES
Published by Departement of Arabic Language and Literature
Faculty of Adab IAIN Syekh Nurjati Cirebon, Indonesia
| Research Article

https://doi.org/10.24235/ijas.v5i2.15047

Verse Rhetoric in the Name of Allah in the Qur'an: An Example of the Perpetrator

بلاغة النظم في القرآن الكريم اسم الجلالة الله في موقع الفاعل الظاهر نموذجًا

Öğretim Üyesi Eid Abdulaziz[1]

[1] Bayburt Üniversitesi İlahiyat Fakültesi-Türkiye

ABSTRACT

Purpose: This paper aims to examine the word of Allah or Lafz Jalalah as the perpetrator in the Qur'an. On the other hand, this research also deals with Lafzatullah, who is used as the perpetrator, in the context of grammar and language philosophy. **Design/ methods/approach:** The research uses qualitative methods with the word of Allah or Lafz Jalalah in the Qur'an as the primary focus. The data source used in the study originated from the Qur'an in term of Allah or Lafz. To analyze the word of Allah or Lafz Jalalah in the Qur'an, the author uses a semantic word of Allah, used at two levels as a clear noun and a pronoun. **Findings**: The semantic approach in this research study confronted with countless facets of eloquence and rhetoric in the name "Allah" in the Quran. From here, we narrowed our focus, concentrating solely on the study of the eloquence of the name "Allah" in the Quran in the context of the active voice. **Research implications**: This research contributes to understanding Qur'an from the linguistic studies. contemporary Saudi culture and media. The research proved the accuracy of the systems of the Quran, and the accuracy of its use of the name of the subject, whether it is an apparent name, or an apparent pronoun. And that the Quran is miraculous in its wording, meaning and history. The Prophet was able to challenge the words of the Arabs, who did not leave an attempt to eliminate his call, and try to refute the miracle of the Qur'an. Although they are the ones who owned the corner of the Arabic language, and owned the Arabic rhetoric from all its sides throughout the ages.

KEYWORDS:
I'jaz Lughawi, the Qur'an, Arabic Grammar, Balaghah.

الملخص

يهدف هذا البحث الى كشف العلاقة بين الجانب النحوي التقعيدي وبين الجانب الدلالي التأويلي –بما يسمى في علم النحو واللغة بفلسفة النحو– بالنسبة لاسم الجلالة "الله" في موقع الفاعل. وتتمثل النقطة الجوهرية التي يحاول هذا البحث إظهارها في أن اسم الجلالة "الله" –عز وجل– عندما يرد في موقع الفاعل، يرد على مستويين: الأول المستوى الظاهر الصريح.

Citation:
Abdulaziz, Öğretim Üyesi Eid. "Verse Rhetoric in the Name of Allah in the Qur'an: An Example of the Perpetrator." Indonesian Journal of Arabic Studies 5, no. 2 (2023): 175–90.

Correspondence:
Öğretim Üyesi Eid Abdulaziz
Email: *efethi@bayburt.edu.tr*

Received: September 26, 2023
Accepted: October 28, 2023
Published: November 20, 2023

والثاني على شكل ضمير، وبتأمله على المستوى التأويلي، يُدْرِك القاريء بعض وجوه الإعجاز القرآني واللغوي التي تأتي باتساع وتعدد وكثرة؛ بحيث تأتي تحت أوجه لا حصر لها من البلاغة والبيان. وإذا كان هذا البحث يتخصص في الإعجاز اللغوي، فإن أوجه الإعجاز اللغوي نفسها من الاتساع والتعدد والكثرة بمكان. وحتى لو خصصنا الحديث عن بلاغة النظم في اسم الجلالة "الله" في القرآن الكريم، لوجدنا أنفسنا أمام أوجه لا حصر لها من البلاغة والبيان في اسم الجلالة "الله" في القرآن الكريم. ومن هنا، خصصنا المخصص، واكتفينا بدراسة بلاغة النظم اسم الجلالة "الله" في القرآن الكريم في منطقة الفاعل؛ رغبة منا في أن تخرج الدراسة بنتائج مرجوة؛ لأنه كلما تخصص البحث كان أكثر دقة.

الكلمات المفتاحية: الإعجاز اللغوي، القرآن الكريم، النحو، البلاغة

المقدمة

من يقرأ القرآن الكريم ويتأمل ورود اسم الجلالة "الله" من الناحية النحوية، يدرك أن اسم الجلالة "الله" قد ورد في التركيب الاسمي والتركيب الزمني على حد سواء، في كل الرتب النحوية المكونة للجملة الاسمية والفعلية. وكان مجيء اسم الجلالة "الله" في منطقة الفاعل؛ من البلاغة والإعجاز في مكان عالٍ جدًّ؛ إذ إنها تحتاج إلى تأمل وتأويل دقيقين؛ ولذلك وقع اختياري على هذا الموضوع. ويُعَدُّ هذا البحث محاولة من الباحث في المساهمة في فهم أسلوب القرآن الكريم – وبطبيعة الحال هناك عشرات من الدراسات تحاول تلمس الطريق مثل دراستنا هذه– وذلك من خلال دراسة الفاعل في القرآن الكريم من ناحية الدلالية والبلاغية. كما تعَدُّ هذه الدراسة لبنة من لبنات الدراسات البلاغية للقرآن الكريم، ومطلبًا لثواب الله سبحانه تعالى .

ومن الدراسات السابقة على هذه الدراسة: (اسما الفاعل والمفعول في القرآن الكريم دراسة نحوية صرفية وصفية دلالية)، للطالبة خديجة السر محمد علي، وهي رسالة ماجستير في اللغة العربية، بجامعة أم درمان الإسلامية، كلية اللغة العربية، سنة (2010م). و(الأبنية الدالة على اسم الفاعل في القرآن الكريم دراسة دلالية) للطالبة أفراح عبد علي الخياط، وهي رسالة دكتوراه، بجامعة بغداد، كلية الآداب، سنة (2003م). و(أحوال الصفة المشبهة باسم الفاعل وأحكامها في القرآن الكريم)، لنعمان الدائم، وهي رسالة ماجستير، بجامعة الخرطوم، كلية اللغة العربية، سنة (2004م)، و(اسم الفاعل في القرآن الكريم، دراسة صرفية نحوية دلالية في ضوء المنهج الوصفي)، للباحث سمير محمد عزيز، في جامعة النجاح، بمدينة غزة بفلسطين، سنة (2004م)، ومقال

بعنوان (بلاغة النظم في اسم الجلالة في القرآن الكريم: المفعول به أنموذجًا) للدكتور عبد الصمد ورلى.[1]

وتتميز هذه الدراسات في مجملها باهتمامها الشديد بالناحية النحوية والصرفية، كما تتميز بإضافة كثيرًا من الجداول التي تتحدث عن أوزان اسم الفاعل في القرآن الكريم وجوانبه الصرفية، ثم الاهتمام الشديد بالحديث عن الجوانب النحوية المتعلقة باسم الفاعل وإعرابه في القرآن الكريم. أما الدراسة الأخيرة فتتكلم عن الفاعل في موقع المفعول به في القرآن الكريم.

منهجية البحث

أما الدراسة التي بين أيدينا فتعتمد على المنهج العلمي الذي يعتمد على رصد الشواهد القرآنية متمثلة في آيات القرآن الكريم، التي يأتي فيها اسم الجلالة "الله" فاعلًا، وذلك محاولة مني لفهم هذه الآيات الكريمة وتأملها وتأويلها، بهدف كشف الإعجاز فيها، وذلك من الناحية البلاغية والنحوية أيضًا، وليس من الناحية النحوية فقط، كما أن الباحث يعتمد على رؤيته الخاصة في دراسته، أكثر من اعتماده على غيره. وقد قام الباحث بتقسيم بحثه إلى عدة محاور، فيتحدث في المحور الأول عن مفهوم الفاعل في القرآن الكريم معتمدًا على كتب كبار علماء اللغة العربية القدامى. ويتحدث في المحور الثاني عن اسم الجلالة (الله) في موقع الفاعل الظاهر. وفي المحور الثالث يتحدث عن اسم الجلالة (الله) ضمير في موقع الفاعل الظاهر.

نتائج الدراسة وتحليلها

إن متابعة القراءة القرآنية تفضي إلى أن اسم الجلالة (الله) قد ورد في منطقة الفاعل بلفظه، وبالضمائر العائدة إليه سبحانه وتعالى في صورها الثلاثة: المتكلم والمخاطب والغائب/نحويًّا، سواء أكان ذلك في حالة الإظهار أم في حالة الإضمار. يعرف ابن السراج الفاعل: بأنه ذلك الاسم الذي يمكن أن يرتفع بأنه فاعل هو الذي بنيته على الفعل الذي بني للفاعل، ويجعل الفعل حديثًا عنه مقدمًا عليه وقبله، كان فاعلًا في الحقيقة أو لم يكن، كقولك: جاء زيد ومات عمرو، وما أشبه ذلك. ومعنى قولي: بنيته على الفعل الذي بني للفاعل، أي ذكرت الفعل قبل أن أذكر الاسم؛ لأنك لو أتيت بالفعل بعد الاسم، لارتفع هذا الاسم بالابتداء.[2]

ويعرف ابن عقيل الفاعل بقوله : هو الاسم المسند إليه فِعْلٌ من الأفعال، على طريقة فَعَلَ ، أو ما يشبِهُهُ (المراد بشبه الفعل: اسم الفاعل، والصفة المشبهة، والمصدر، واسم الفعل، والظرف، والجار والمجرور، وأفعل التفضيل)، ويكون حكمه الرفع.[3] وكذلك يعرفه الإمام السيوطي بقوله:"الفاعل هو ما أسند إليه عامل مفرغ على

[1] Abdushomad, ‘Balaghah Nadzm Fi Ism Jalalah Fi Al-Qur’an Al-Karim: Al-Maf’ul Bih Anmudzijan’, *Journal of Analytic Divinity International Refered Journal* 5, no. 2 (2021): 174.
[2] Ibn Sarraj, *Al-Ushul An-Nahw* (Beirut: Muassasah Risalah, 1996).
[3] Muhammad bin Salih Al-A’tsimain, *Syarh Alfiyah Ibn Malik* (Cairo: Dar Ibn Zauji, 2013).

جهة وقوعه منه أو قيامه به. على وقوعه منه، كضرب زيد.[4] وقيامه به كمات زيد. ويقول الدكتور فاضل السامرائي عـن الفاعل: الفاعـل في اللغة هو مَـنْ أوجد الفعل، وفي الاصطلاح: هو مـا أسنـد إليه عــامل مقـدم عليه علـى جهـة وقوعه منه، أو قيامه به.[5]

اسم الجلالة (الله) اسم في موقع الفاعل الظاهر

في كثير من آيات الذكر الحكيم يرد اسم الجلالة (الله) في منطقة الفاعل. وتتنوع هذه الآيات بتنوع الأسلوب الذي بُنِيَتْ عليه؛ فأحيانًا تعتمد الآية على الأسلوب الخبري، مثل قول (الله) عز وجل:﴿خَلَقَ **اللَّهُ** السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾(سورة العنكبوت: 44). وقوله سبحانه وتعالى:﴿ يَخْلُقُ **اللَّهُ** مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(سورة النور: 45).

وأحيانًا أخرى يعتمد الخطاب على بنية القصر، وذلك مثل قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا **اللَّهُ**﴾ (سورة آل عمران: 7) وانظر كذلك: سورة (آل عمران: 7 ، 135)، وسورة (إبراهيم: 9)، وسورة (النحل: 79)، وسورة (النمل: 65). وأحيانًا أخرى يعتمد الخطاب القرآني على بنية الاستفهام، وذلك في قوله سبحانه وتعالى: ﴿مَا يَفْعَلُ **اللَّهُ** بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾(سورة النساء:147) وانظر كذلك : سورة (الإسراء: 94).

أو بنية النفي، مثل قوله تعالى:﴿لَا يُحِبُّ **اللَّهُ** الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾(سورة النساء: 148) وانظر : سورة (المائدة: 6، 103). وأحيانًا أخرى يعتمد التركيب على بنية الشرط، مثل قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ **يَعْلَمِ اللَّهُ** فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (سورة الأنفال: 70). وأحيانًا يرد اسم الجلالة (الله) في موقع الفاعل الظاهر المضاف إلى عاملة/ فعله، وذلك كما في قوله تعالى:﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (البقرة: 251) وانظر كذلك: سورة (الحج : 40).

وليس بخاف، أن ما طُرِحَ من معان في تعريف الفاعل تنطبق على تلك المواضع، وكل المواضع التي ورد فيها اسم الجلالة (الله) فاعلًا؛ إذ إن الفعل صادر عن (الله) سبحانه وهو موجده، وفي الوقت نفسه، (الله) سبحانه وتعالى هو الفاعل له. ولما كان هذا الأمر من الوضوح بمكان، فإن دراسة هذه النماذج القرآنية ستنصب على علة إظهار اسم الجلالة (الله) بلفظه في منطقة الفاعل، ثم محاولة الدخول إلى النسيج الأسلوبي الذي

[4] Jalaluddin Abdurrahman Abi Bakr As-Suyuthi, *Al-Muzhir Fi Ulumul Lughah*, ed. Muhammad Ahmad Jad Al-Maula (Kairo: Isa Al-Bab Al-Halabi, 2014).
[5] Fadhil Shalih As-Samirai, *Ma'ani An-Nahw* (Oman: Dar Al Fikr, 2000).

يُؤسَّس عليه تركيب الخطاب القرآني في تلك النماذج.

فإذا جئنا إلى النموذج الأول، وهو قول (الله) عز وجل:﴿خَلَقَ **اللَّهُ** السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة العنكبوت: 44). ألفينا أنه قد أُسِّسَ على الأسلوب الخبري. وكما هو واضح، فإن الآية قد اعتمدت على الجملة الاستئنافية؛ إذ وردت بعد الانتهاء من الحديث عن غير المؤمنين ومصيرهم. ولأن الخطاب إخبار عن أن اسم (الله) تعالى بأنه هو الذي يستحق الوصف بأنه خالق السموات والأرض بالحق، وأنه لا يؤمن بذلك إلا المؤمنون (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ)، ورد خاليًا من أدوات التوكيد التي قد تسبق الفعل. وإنما ورد التوكيد بـ(إنَّ) في جانب إيمان المؤمنين بهذا؛ ليعلي مكانتهم، ويظهر طهارة نفوسهم، ونقاء سرائرهم، ورسوخ عقيدتهم.

وفضلًا عن ذلك، فإن مسألة خلق السموات والأرض لم يدعها أحد ممن أدعوا الألوهية، بل اعترفوا بأن (الله) هو خالق السموات والأرض. ويمكن فهم ذلك من قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾(سورة لقمان: 25) وانظر كذلك: سورة (العنكبوت: 61)، وسورة (الزمر: 38)، وسورة (الزخرف: 9). ولما كان ذلك كذلك، انتفى التوكيد. وإذا ما فتشنا عن سبب ورود اسم الجلالة (الله) بلفظه في منطقة الفاعل، وجدنا أن ذلك لسببين: **الأول** أن مسألة خلق السموات والأرض من أعظم الدلائل على قدرة (الله) سبحانه وتعالى، مما يستوجب ذكره بلفظه جل في علاه. **الآخر**: أن الآية بُنِيَتْ على الاستئناف، أي أنها خطاب مستقل؛ لذا لم يكن هناك مجال للإضمار في منطقة الفاعل، وإنما بُنِيَ على الإظهار.

أما حقيقة خلق (الله) سبحانه وتعالى للسموات والأرض، فقد وردت في إطار شبه الجملة الجار والمجرور (بالحق) في يسر وسهولة، دون وضعها في بنية الحصر مثلًا، أو التأكيد على ذلك؛ لأن الذين يؤمنون بهذا الحق هم المؤمنون (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ) (سورة الحجر: 77، وسورة العنكبوت: من 44). ويمكن فهم هذا بوضعه فيما يقابله، وهو قول(الله) سبحانه وتعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾(سورة الروم: 8).

وإذا تأملنا هذا الخطاب، وجدنا أن اختلاف المخاطَب أدى إلى وضع شبه الجملة (بالحق) في بنية القصر المبني على النفي والاستثناء في قوله تعالى: ﴿**مَا** خَلَقَ **اللَّهُ** السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا **إِلَّا بِالْحَقِّ**﴾(سورة الروم: من 8)، فضلًا عن تركيب (وما بينهما). وبتأمل السياق الذي وردت فيه الآية الكريمة، يمكن التعرف على المخاطَب؛ إذ يقول مولانا عز وجل:﴿ألم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ

مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ. فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ. بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ. وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ. يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ. أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾(سورة الروم: 1 -10).

ومن الواضح أن المخاطَب هنا ، هم مـن ابتهجوا بهزيمة الروم مـن المشركين والكفار، فكان هذا الوعد من (الله) بهزيمة الفرس وانتصار الروم، ثم تقريعهم بالنظر في أنفسهم، وحثهم على تأمل مصير من قبلهم ...إلخ ... ولعدم الإطالة، على القارئ الكريم تأمل الموضع الثاني المؤسس فعله على زمن المضارع في قوله تعالى : ﴿يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(سورة النور:45)، بربط زمن المضارع/الحال والاستقبال بسياق الآية الكريمة.

وإذا جئنا إلى نموذج آخر ، وهو قول (الله) تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا **اللَّهُ**﴾ (سورة آل عمران: 7)، ويمكن وضع هذا التركيب وأمثاله في الحركة الأفقية للفاعل؛ حيث تأخر عن المفعول بسبب بنية القصر. نجد أن التركيب بُني على أسلوب القصر ب(ما) و(إلا). وإذا كان هذا الأسلوب يسمى بلاغيًا بأسلوب القصر، فإنه يسمى نحويًا بالاستثناء المفرغ.[6] ومعنى الاستثناء المفرغ، أي الجملة المبنية على أداة النفي وحذف المستثنى منه. وإذا أريد معرفة الاسم الواقع بعد (إلا) يتم حذف أداة النفي و(إلا)، ثم يُنظر في موقع الاسم الواقع بعد (إلا)، وبناء عليه يتم إعرابه. وطبقًا لهذا، فإن أصل التركيب قبل دخول النفي والاستثناء عليه (يعلم تأويله الله) أو (يعلم الله تأويله). وفي الحالتين يشغل اسم الجلالة (الله) موقع الفاعلية من الفعل (يعلم). وإلى هنا يتنهي دور النحو التقعيدي.

ولما كانت لغة القرآن الكريم مؤسسة على العدول اللغوي، بعيدًا عن المستوى المألوف؛ إذ تهدف إلى توصيل الدلالة على أعلى وأرقى ما يكون لها بلاغيًا، لم تعتمد على النحو التقعيدي في بناء تراكيبها . وهنا يتدخل الدور البلاغي. إن بناء الخطاب على أسلوب القصر، يرمي إلى حصر دلالة علم التأويل وقصرها على المولى عز وجل، دون غيره. ويمكن فهم ذلك من خلال حذف المستثنى منه؛ إذ يدل هذا الحذف – من وجهة نظري – على عدم وجود المستثنى منه من الأساس، وإن شئت قل: أو أن هذا الحذف يدل على شمولية المستثنى منه وتعدده، ولما كان هذا لا يصح ولا يصير في جانب الحق سبحانه وتعالى؛ إذ لا يشاركه أحد (ملك، أو جان، أو إنسان ...إلخ)، اعتمد التركيب على الاستثناء المفرغ؛ كي تتجلى صفة الوحدانية ، وتتضح

6 Al-A'tsimain, *Syarh Alfiyah Ibn Malik*.

سمة التفرد (لله) سبحانه وتعالى.

وفي هذا الضرب من التركيب يقول عبد القاهر الجرجاني في باب (القصر والاختصاص):" وأما الخبر بالنفي والإثبات نحو قولنا: (ما هذا إلّا كذا)، وقولنا: (إنْ هو إلّا كذا)، فيكون للأمر ينكره المخاطب ويشك فيه".[7] وهذا ما يؤكد للمخاطب تفرد (الله) عز وجل وحده دون غيره بعلم التأويل. ومن هنا لم يُبْنَ التركيب على (إنما) التي تفيد علم المخاطب بمضمون الخبر، وهو ما سنأتي عليه لاحقًا .

ولما اعتمد الخطاب على بنية القصر، تم تحريك الفاعل ليتأخر عن المفعول به، وتم تقديم المفعول به على الفاعل. فإن قيل: وما دلالة هذه الحركة الأفقية/ تقديم المفعول به على الفاعل ؟ قلتُ: لأن الحديث في صدر الآية انصب على عملية المحكم والمتشابه، وكذلك عن عملية التأويل مثل قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾. (سورة آل عمران: من 7) وكان من جمال التناسق اللغوي في القرآن الكريم، أنه لما وصلت الآية إلى علم حقيقة التأويل، ذَكَرَتْه أولًا (وما يعلم تأويله). ومن ناحية أخرى تدفع القارئ المتلقي إلى التلهف إلى معرفة من هو بحقيقة التأويل عليم؛ ليأتي الفاعل (الله) ممثلًا راحة نفسية للقاريء، ومرتكزًا، ومتكأ، ومرفأ دلاليًّا، تتم به الدلالة، ويكتمل به المعنى.

وأما عن إظهار اسم الجلالة (الله) في منطقة الفاعل فيعزو إلى سببين: **الأول** لغوي، و**الآخر** دلالي. أما اللغوي فيتمثل في بُعد المسافة بين هذا الموضع، والموضع الذي قبله، المذكور فيه اسم الجلالة (الله) بلفظه (إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى)؛ إذ اعتمد النسق القرآني الضمير (هو) العائد إلى المولى عز وجل ثلاث مرات في حالة الظهور، وأربع مرات في حالة الاستتار. ولأجل التناسق الجمالي لآي الذكر الحكيم، ذُكِرَ اسم الجلالة بلفظه في منطقة الفاعل. ويتمثل السبب **الدلالي** في عظم المتحدَّث عنه، وهو —كما قلنا من قبل— موضوع المحكم والمتشابه، وتأويل ذلك ، فكان ذكر اسم الجلالة (الله) بلفظه من البيان والإعجاز بمكان.

أما دال (الراسخون) الذي دار حوله كلام كثير ، فيمكن النظر إليه من جهتين مرتبطتين: جهة لغوية نحوية، وجهة دلالية. وعلى كل حال، تُجْمِعُ هاتان الجهتان على وجهين لدال (راسخون): **الأول** أن تكون(الواو) عاطفة، والراسخون معطوفة على (الله). ومن ثم يدخل الراسخون في دلالة الفاعلية، أي في علم تأويل المتشابه. **والآخر**: هو أن يكون الوقف على (إلا الله) وتكون (الواو) استئنافية، والراسخون مبتدأ وخبره جملة يقولون: من

[7] Abdul Qohir Al-Jurzani, *Dalail Al-I'jaz*, trans. Mahmud Muhammed Shakir (Cairo: Maktabah Khanzi, 2009).

الذين قالوا بالوجه الأول (العطف) أحمد بن محمد النحاس[8]،عبد الله بن الحسين العكبري،[9]; ومن الذي قالوا بالوجهين محيي الدين الدرويش،[10] محمود سليمان ياقوت،[11]; وأما الذين قالوا بالوجه الآخر فحسب (المبتدأ) فهو الزجاج،[12] حينما قال : " فالوقف التام قوله ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ ؛ أي لا يعلم أحد متى البعث (غير الله) . وبعد أن قدم المعنى اللغوي لرسخ قال : ويدل على أن الأمر الذي اشتبه عليهم لم يتدبروه ، قوله عز وجل ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ : أي ذوو العقول إبراهيم بن السري الزَّجَّاج،[13] أما الجهة الدلالية ، فهي تخص التفاسير المتعددة. وأنا أرجح الوجه الثاني لأسباب: **أولًا** أن انبناء الخطاب القرآني في هذه الآية الكريمة على أسلوب القصر، يهدف إلى قصر دلالة علم تأويل المتشابه على (الله) وحده جل في علاه. وهذا ما بيناه سابقًا.

ثانيًا: أن عطف دال (الراسخون) على اسم الجلالة (الله) سيجعل جملة (يقولون) حالًا. والحال سيكون للمعطوف وللمعطوف عليه، وهذا محال مع (الله). وحتى إن كان الحال سيخص المعطوف فقط، كما قال الدرويش، وساق مثالًا لهذا من القرآن الكريم –ويبدو أن الدرويش يؤمن بالرأي الأول–،[14] سيدخلنا هذا في مماحكات لغوية، تغنينا عنها سلاسة الآية في الإتيان بجملة (يقولون)، وبوقوعها خبرًا لدال (الراسخون) دون تعنت أو اختلاف.

ثالثًا: أن هناك من قال: لو كان الراسخون مبتدأ، وجملة (يقولون) تقع خبرًا، لكان حاصل هذا الخبر يعني: مما يستوي فيه سائر المسلمين الذين لا زيغ في قلوبهم، فلا يكون لتخصيص الراسخين فائدة.[15] وقد ساق ابن عاشور رأي ابن عطية، الذي قال فيه: تسميتهم تقتضي أنهم يعلمون أكثر من المحكم الذي يستوي في علمه جميع من يفهم كلام العرب، وفي أي شيء هو رسوخهم إذا لم يعلموا إلَّا ما يعلمه الجميع. وما الرسوخ إلَّا المعرفة بتصاريف الكلام بقريحة معدة.[16]

ورأي ابن عطية الذي ساقة ابن عاشور يرجح الاستئناف، ولا يرجح العطف؛ إذ أن قول ابن عطية: الذي قال فيه: (أنهم يعلمون أكثر من المحكم الذي يستوي في علمه جميع من يفهم كلام العرب) يعني أنهم لا

[8] Abu JA'far Ahmad ibn Muhammad ibn Ismail An-Nuhas, *I'rab Al-Qur'an* (Beirut-Lebanon: Dar Al-Ma'rifah, 2008).
[9] Abu Al-Baqai Al-Akbari, *At-Tibyan Fi I'rab Al-Qur'an* (Cairo: Dar Halabi, 2009).
[10] Muhyiddin Darwis, *I'rab Al-Qur'an Wa Bayanuh* (Damascus: Darul Irsyad, 1992).
[11] Muhammad Sulaiman Yaqut, *I'rab Al-Qur'an Al-Karim* (Iskandariyah: Dar Ma'rifah Jamiiyah, n.d.).
[12] Zujaj Abi Ishaq Ibrahim ibn Sari, *Ma'ani Al-Qur'an Wa I'rabuhu* (Beirut: A'lam al-Kutub, 1988).
[13] Sari.
[14] Darwis, *I'rab Al-Qur'an Wa Bayanuh*.
[15] Muhammad Thohir ibn A'syur, *Tafsir At-Tahrir Wa Tanwir* (Tunisia: Dar Tunisia li Nasyr, 2007).
[16] A'syur.

يعلمون تأويل كل المتشابه، ولأنهم لا يعلمون إلا الجزء، فقد سوغ ذلك خروجهم من بنية العطف.

والمفهوم من كلام ابن عطية، ساقه القاضي في تفسير ابن عطية نفسه، إذ قال القاضي بعد حديثه عن المحكم: والمتشابه يتنوع، فمنه ما لا يُعلم البتة، كأمر الروح، وآماد الغيبيات التي قد أعلم (الله) بوقوعها إلى سائر ذلك، ومنه ما يُحمل على وجوه في اللغة ومناح في كلام العرب، فيُتناول ويُعلم تأويله المستقيم، ويُزال ما فيه مما عسى أن يُتعلق به من تأويل غير مستقيم ...إلى غير ذلك، ولا يسمى أحد راسخًا إلا بأن يعلم من هذا النوع **كثيرًا بحسب ما قُدِّر له.**[17] والجملة الأخيرة تبرز جزئية علم هؤلاء بتأويل المتشابه؛ إذ كيف لهم أن يصلوا إلى علم (الله) الذي يتصف بالكمال والإطلاق، في حين يتصفوا هم بالنسبية والجزئية !!. وكل هذا مما يرجح عدم العطف.

رابعًا: أن دال العلم الذي أنيط بالراسخين جاء مطلقًا (وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ) ولم تحدد الآية ما إذا كان هذا العلم خاصًا بعلم التأويل أم لا. مما يعضد الاستئناف، وليس العطف.

أخيرًا: أنه يمكن النظر إلى امتداح الحق سبحانه وتعالى لهؤلاء الراسخين، على أنه يرد من جهة أن رسوخهم في العلم يجعلهم لا يتوقفون عند مرحلة القول بالإيمان بقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾(آل عمران:7)، بل يتعدون ذلك إلى مرحلة العمل والفعل، وتجلي هذا الرسوخ في عبادتهم (لله) سبحانه وتعالى، وفي علاقتهم معه. ومن ثم يمكن فهم قوله تعالى:﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾(آل عمران:7) في إطار هذا الطرح. ويمكن التعرف على قسمات هذا الجانب ورغبتهم في الثبات على ما هم عليه بتتبع قراءة الآيات اللاحقة.

فإن قيل: وهل هناك من هو راسخ في العلم، ولا يتجلى هذا في علاقته مع (الله)؟ قلتُ: نعم. هم علماء اليهود والنصارى. إذ قال الله تعالى فيهم:﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ، وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾(سورة البقرة: 146). أي يعرفون أن هذا البيت الحرام هو قِبْلَة النبي ﷺ وقِبْلَة إبراهيم –عليه السلام– وقِبْلَة كل الأنبياء –عليهم السلام– من قبله. ومع علمهم بهذا يكتمون الحق. وقوله سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾(سورة الأنعام: 20). أي يعرفون أن (الله) واحد لا شريك له، وأن محمدًا ﷺ هو نبيه ورسوله. علمنا الله وإياكم وغفر لنا إن أخطأنا!.

ومع أن الأصل هو ذكر الفاعل في الجملة، وأن حذفه يكون لأغرض بلاغية، كما سنوضح، فإن

[17] Ibn Athiyah Al-Andulisi, *Al-Muharror Al-Wajiz Fi Tafsir Al-Kitab Al-Aziz* (Beirut-Lebanon: Dar Kutub al-Islamiyah, 2001).

ذكره أيضًا لا يخلو من بلاغة. ففي قوله تعالى:﴿أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ **اللَّهُ** وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾(سورة النساء: 88).

تم ذِكْرُ اسم الجلالة (الله) في تركيب (مَنْ أَضَلَّ **اللَّهُ**). ولهذا الذكر من البلاغة والبيان ما له؛ إذ لو ورد التركيب (أتريدون أن تهدوا من أُضِلَّ)، بحذف الفاعل وبناء الفعل للمجهول، كانت إرادة الهداية ممكنة؛ إذ ليس معروفًا مَنْ أَضَلَّ. ولكن ذكر الفاعل (الله) قطع الأمل في عدم الهداية؛ إذ كيف تتأتى الهداية و(الله) هو الذي أضل ؟!.[18] وللتأكيد على حقيقة عدم التمكن من الهداية لهذا الصنف من البشر، ذُيِّلت الآية بقوله تعالى:﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ فكانت من المناسبة بمكان بوصفها تأكيدًا، أو تعليلًا لعدم تحقيق الهداية.

وإجمالًا، فإن ذكر الفاعل (الله) سبحانه وتعالى له أغراض بلاغية عديدة، فمثلًا يُذكر اسم الجلالة (الله) فاعلًا في موضع الثناء والمدح وإظهار التعظيم، مثل وروده مع أفعال من قبيل (خَلَقَ) في خلق السموات والأرض، أو الرزق، أو المن والعطاء، أو الهداية، أو النعم، أو الخير. فمثلًا قوله تعالى:﴿خَلَقَ **اللَّهُ** السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة العنكبوت: 44). وغيرها كثير، ذُكِرَ فيه الفاعل، وذِكْرُهُ هنا يرد للتعظيم وبيان القدرة. وقوله تعالى:﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ **اللَّهُ** عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾(سورة النساء: 69) يرد فيه الفاعل اسم الجلالة (الله) مع الفعل (أنعم)؛ إذ إسناد هذا الفعل إلى(الله) سبحانه وتعالى، يوحي بأن كل ما يصدر عن (الله) خير ونعم في نعم، ولا يصدر عنه الشر مطلقًا. ولو حُذِفَ الفاعل وبُنِيَ الفعل للمجهول (أُنْعِمَ) لتُوهِّم تعدد الفاعل.

ولنا أن نتأمل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ **أُرِيدَ** بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ **أَرَادَ** بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ (سورة الجن: 10)، لندرك كيف بُنِيَ الفعل (أُرِيدَ) للمجهول في الشر، وأسنده إلى (الرب) في الخير ﴿أَمْ **أَرَادَ** بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾.[19] وعلى القارئ تأمل موضع: (سورة الأنفال: 70)، وعلى هذا فقس. أما ورود اسم الجلالة (الله) سبحانه وتعالى في موقع الفاعل الظاهر المضاف إلى عاملة/ المصدر ، فكما في قوله تعالى:﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾(سورة البقرة : 251) وانظر كذلك : سورة (الحج : 40).

إذا تأملنا العملية الإعرابية لصدر الآية الكريمة، ألفينا أن دال (دَفْعُ) المصدر الثلاثي من (دفع) ورد

[18] As-Samirai, *Ma'ani An-Nahw*.
[19] As-Samirai.

في منطقة المبتدأ بعـــد لولا الشرطية، وخبره محذوف تقديره موجود، واسم الجلالة (الله) مضاف إليه، والناس مفعول به للمصدر (دفع). وقد أجاز الزجاج القراءة التي تقول بـ(دفاع) بدلًا من (دَفْع)[20]، وقد قال النحاس برفع اسم الجلالة (الله) بوصفه فاعلًا للمصدر (دفع).[21] وقد قال العكبري في (دفع) أنه مصدر مضاف إلى فاعله، أي (الله)،[22] وقد ذكر الدرويش في اسم الجلالة (الله) أنه مضاف إليه لفظًا، مرفوع للتعظيم محلًا، على أنه فاعل للمصدر (دفع)،[23] وقد ذهب ياقوت إلى إعراب اسم الجلالة (الله) مذهب بهجت صالح[24] كما قدر المصدر (بأن والفعل).[25] ويعمل المصدر عمل فعله في موضعين: **الأول** أن يكون نائبًا عن الفعل. وهذا في حال أن يكون المصدر مفعولًا مطلقًا. **والآخر**: أن يكون هذا المصدر مقدرًا بـ(أن والفعل) في حالة دلالته على المضي أو الاستقبال، أو بـ(ما والفعل) إذا دل على الحال.[26]

ويعمل هذا المصدر في ثلاثة أحوال: أن يكون مضافًا، أومجردًا عن الإضافة و(ال) —وهو المنون— أو محلى بـ(ال)، وأن يعمل المضاف أكثر من عمل المنون، وأن يعمل المنون أكثر من عمل المحلى بـ(ال).[27] ولما كان المصدر (دفع) مضافًا، ومئوَّلًا بـ (أن والفعل) ،[28] فدل على المضي والاستقبال، رفع اسم الجلالة (الله) بوصفه فاعلًا له محلًا، وجره بالإضافة إليه لفظًا. وقد استشهد ابن السراج[29] بهذه الآية الكريمة، ونحن نطرح هذا الطرح هنا، على أساس أن الفعل هو الأصل، والمصدر مشتق من الفعل، ومن ثم يكون التعبير الأصلي بالفعل، والبلاغي الإعجازي بالمصدر. وكون الفعل هو الأصل أو المصدر له ثلاثة مذهب: مذهب البصريين الذي يقول: إن المصدر أصل والفعل والوصف مشتقان منه. ومذهب الكوفيين أن الفعل أصل والمصدر مشتق منه. والثالث أن كلًا من المصدر والفعل أصل برأسه. وقد رجح ابن عقيل المذهب الأول أي البصريين.[30] وتقدير التركيب (ولولا أنْ يَدْفَعَ اللهُ الناسَ).

[20] Sari, *Ma'ani Al-Qur'an Wa I'rabuhu*.
[21] An-Nuhas, *I'rab Al-Qur'an*.
[22] Al-Akbari, *At-Tibyan Fi I'rab Al-Qur'an*.
[23] Darwis, *I'rab Al-Qur'an Wa Bayanuh*.
[24] Yaqut, *I'rab Al-Qur'an Al-Karim*.
[25] Abu Bakar Al-Qurthubi, *Al-Jami Li Ahkam Qur'an* (Damascus: Muassasah Risalah, 2006).
[26] Ya'is ibn Ali ibn Ya'is Maufiquddin, *Syarh Al-Mufashol* (Damascus: Idarah Thabaah al-Muniroh, 2001); Sibawaih, *Kitab Sibawaih*, ed. Abu Bisr Amr ibn Ustman ibn Qanbari (Cairo: Maktabah Khanzi, 1988); Hasan Abbas, *An-Nahwu Al-Wafi*, 3rd ed. (Damascus: Dar Al-Ma'arif, 1988); Abu Abbas Muhammad bin Yazid Al-Mubarad, *Kitab Al-Muqtadhab* (Cairo: Lajnah Ihya Turats Islami, 1994); Al-A'tsimain, *Syarh Alfiyah Ibn Malik*.
[27] Maufiquddin, *Syarh Al-Mufashol*.
[28] Abu Al-Qasim Jarallah Mahmud bin Umar Az-Zamakhsyari, *Tafsir Al-Kasyaf*, 3rd ed. (Beirut-Lebanon: Dar Al-Marefah, 2009).
[29] Sarraj, *Al-Ushul An-Nahw*.
[30] Al-A'tsimain, *Syarh Alfiyah Ibn Malik*.

وفي هذه الإضافة يقول ابن عاشور: وإضافته إلى الله على اعتبار المجاز العقلي: كما في قوله تعالى:﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾(سورة الحج: من 38) أي يدفع؛ لأن الذي يدفع حقيقة هو الذي يباشر الدفع فيما تعارف الناس عليه، وإنما أسند إلى الله؛ لأنه هو الذي قدره وقدر أسبابه. ولذلك قال: (بعضهم ببعض) فجعل سبب الدفاع بعضهم، وهو من باب: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾(سورة الأنفال: من 17) وأصل معنى الدفع الضرب باليد للإقصاء عن المرام.[31]

اسم الجلالة (الله) ضمير في موقع الفاعل الظاهر

سبق أن تحدثنا عن تجلي اسم الجلالة (الله) في صورة الضمائر، وبطبيعة الحال، إن الضمائر التي درسناها في منطقة المبتدأ هي الضمائر المنفصلة في صيغة المتكلم (أنا، نحن، أنت، هو). وفي هذا الجزء من الدراسة ستتم دراسة الضمائر المتصلة، سواء للمتكلم (تُ) أو (نَا)، أو المخاطب المفرد (تَ). وعقدنا المبحث الثاني كله من الفصل الأول لدراسة اسم الجلالة (الله) التي تعود إليه الضمائر في منطقة المبتدأ، مع تنوع ما تشغله منطقة الخبر. وبيَّنَّا بلاغة الضمائر العائدة إليه جل في علاه في هذه المنطقة المهمة من التركيب الاسمي .

والآن، جاء الدور على إظهار جماليات الضمائر العائدة إلى الحق سبحانه وتعالى في منطقة الفاعلية. ولأن الحديث يدور حول الضمائر الظاهرة في منطقة الفاعلية، فكان من طبيعة الحال أن تتناول الدراسة ضمائر (تُ، نَا، تَ)، وهي ضمير المتكلم المتصل في صيغة الإفراد، وضمير المتكلم المتصل في صيغة الجمع، وضمير المخاطب المتصل في صيغة الإفراد؛ إذ هي التي تشغل منطقة الفاعلية في حالة الإظهار.

ويتجلى الضمير الأول في قول (االله) تعالى:﴿وَمَا **خَلَقْتُ** الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (سورة الذاريات: 56). كما يتجلى الضمير الثاني في قوله سبحانه وتعالى:﴿وَلَقَدْ **خَلَقْنَا** الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾(سورة الحجر: 26). وأخيرًا يرد الضمير الثالث في قوله تعالى:﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ **خَلَقْتَ** طِينًا﴾ (سورة الإسراء : 61).

ولعدم التفريع، اخترنا مادة لغوية واحدة (خَلَقَ)؛ لدراسة اسم الجلالة (الله) في موقع الفاعلية من خلالها. فإن قيل: لماذا رجحت عود الضمائر الملحقة بهذه المادة في حالة الزمنية إلى اسم الجلالة (الله)، وليس دال (رب)؟ قلتُ: لأن مسألة الخلق تندرج تحت سمات الألوهية؛ إذ الهدف منها هو عبادة (الله) جل في علاه. وهو ما ورد في آية سورة الذاريات. وكذلك لقوله تعالى:﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾(سورة المؤمنون: 14).

[31] A'syur, *Tafsir At-Tahrir Wa Tanwir*.

وعندما ترد مسألة الخلق في سياق الربوبية، فيكون هذا من باب تجلي نعم الخالق على المخلوق بنعم الربوبية.

وبتأمل الموضع الأول، نجد أن ضمير (تُ) المفرد المتكلم المتصل العائد إلى المولى عز وجل قد شغل منطقة الفاعلية للفعل (خلق). وإيراد هذا الضمير هنا في حالته الإفرادية يوحي بالتفرد والوحدانية، ولا سيما أن الهدف من خلق الجن والإنس قد تبلور في التركيب الزمني (يَعْبُدُونِ). ولما كانت العبادة لا تصح إلا لواحد فرد صمد، وأنها ترتبط بمفهوم الألوهية، ورد الضمير (تُ) ليبرز هذا التفرد وتلك الوحدانية، ومن ثم صحة الاتصاف بالألوهية التي لا تستوجب العبادة إلا (لله).

وإذا وظفنا هذا المنحى النحوي في خدمة المنحى الدلالي، فيمكن القول: إن من خلق الجن والإنس(خَلَقْتُ) هو الذي يأمرهم بعبادته. فلماذا يتكبر المتكبرون ويماطل المماطلون، وينكر المنكرون. إذا كان الإنسان في الدنيا لا ينكر فضل بعضه على بعض، بل يحاول من تُفُضِّل عليه أن يرضي المتفضِّل بالطرق شتى، فما بالنا بالخالق، وقد جُحِدَتْ نعماؤه، وعُبِدَ غيره. وحتى على مستوى المسلمين، علينا أن ننظر أفعالهم. ويطول بنا الكلام.

فإن قيل: إذا كان ذلك كذلك، بأن ضمير المتكلم (تُ) المتصل المفرد جاء مع عملية خلق الجن والإنس. فكيف نفهم ورود الضمير (نا) المتكلم المتصل الدال على الجمع في العملية ذاتها، أي الخلق، في قوله تعالى –وهو النموذج الثاني–:﴿وَلَقَدْ **خَلَقْنَا** الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾(سورة الحجر : 26). قلتُ: إن استخدام ضمير الجمع (نا) هنا يدل على العظمة وطلاقة القدرة. وتتبلور هذه العظمة وتلك الطلاقة في مرحلة خلق الإنسان ﴿صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾. وحتى في الآية اللاحقة قال مولانا: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾ (سورة الحجر: من 27).

وكأن هاتين الآيتين تفصيل للموضع السابق:﴿وَمَا **خَلَقْتُ** الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (سورة الذاريات: من 56). ولنا أن نقرأ قول (الله) تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ. ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ. ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾(سورة المؤمنون: 12 – 14)، ونتأمل تتابع ضمير الجمع (نـــا) في منطقة الفاعل.

ومع ذلك، فإن المسألة ليست بهذه الحرفية؛ إذ كل الضمائر العائدة إلى المولى عز وجل تدل على صفات الكمال والجمال والجلال. فإذا قلنا مثلًا: إن استخدام ضمير الجمع (نا) يرد لبيان القدرة في تعدد مراحل خلق الإنسان، ففي مواضع أخرى يرد ضمير المتكلم المفرد المتصل في المراحل نفسها. ومن ذلك قوله

تعالى – وهي الآية الثالثة بعد الموضع المذكور/ أي أنها قريبة منه: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾(الحجر: 28).

وهنا يمكن القول: إن ضمير المتكلم المتصل (ي) الشاغل لمنطقة اسم الناسخ (إن) يدل على الوحدانية والتفرد والقدرة والعظمة في عملية الخلق في الوقت نفسه. لمَ لا. أما الموضع الثالث، وهو المتعلق بمجيء ضمير المخاطب المفرد (تَ) في منطقة الفاعلية، فيمثله قوله تعالى:﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ **خَلَقْتَ** طِينًا﴾(الإسراء: 61). والملحوظ أن ضمير الفاعل للفعل (قلنا) قد ورد بصيغة الجمع (نا)؛ دلالة على العظمة. ولما كان مضمون الأمر (اسْجُدُوا لِآدَمَ) متعلقًا بالعبادة، التي تمثلت في طاعة الملائكة وامتثالهم لأمر خالقهم في السجود لآدم (فَسَجَدُوا)، وكان إبليس متمردًا على هذه العبادة، التي تتعلق بمفهوم الألوهية، ورد الضمير (تَ) في خطاب إبليس (لله) عز وجل دالًا على هذه الوحدانية وهذا التفرد.

وبهذا، فإن الضمير (تَ) سواء أكان في صيغة المتكلم أم المخاطب، دائمًا ما يتعلق بالعبادة، التي تتعلق بالوحدانية والتفرد والألوهية، سواء أكان هذا من جانب الحق سبحانه وتعالى في خطابه عن نفسه، أم حتى في مخاطبته سبحانه وتعالى. كما مر بنا في (**خَلَقْتُ – خَلَقْتَ**). أن الحق سبحانه وتعالى يخاطب عباده في إخباره عن نفسه كما يشاء، بصيغة الجمع أو الإفراد، كما بينا ذلك بلاغيًا على النحو السابق. أما في خطاب الخلائق (لله) جل في علاه، فالأمر يختلف. (الله) سبحانه وتعالى واحد فرد، وما خلق (الله) سبحانه وتعالى الجن والإنس –كما مر في الآية السابقة– إلا للعبادة، والعبادة تقتضي الألوهية، والألوهية تقتضي التفرد. ومن ثم كان خطاب العباد مع معبودهم في صيغة الإفراد من البلاغة بمكان.

أن الخطاب الإلهي يرد في مسألة العبادة في صيغة المفرد:﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾(سورة طه: 14). ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (سورة القصص: 30). وبما أن خطاب العبد (لله) يرد في إطار العبادة، فلا يكون إلا بصيغة المفرد. وهو الذي خاطب نبيه ﷺ بصيغة المفرد كذلك عن نفسه، وعن علاقة العباد به: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي **عَنِّي فَإِنِّي** قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا **دَعَانِ** فَلْيَسْتَجِيبُوا **لِي** وَلْيُؤْمِنُوا **بِي** لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾(سورة البقرة: 186). وعليك أن تتأمل ضمائر المفرد الظاهرة، فضلًا عن الفاعل المستتر(أنا) المفرد كذلك للفعل (أُجِيبُ).

أن تعامل الإنسان مع الإنسان حتمًا يختلف عن تعامل العبد مع (الله) سبحانه وتعالى. فكما يمكن أن تدل صيغة الجمع في خطاب البشر – البشر على الاحترام والأدب، يمكن أن تُعلل بالخوف والرهبة، أو العوذ والاحتياج، أو طلب المنفعة...إلخ. وبهذا لا يكون هذا السبب (الاحترام والتقدير) هو المسيطر الأساسي في

هذا الضرب من التخاطب في كل مقام. فكان من حكمة (االله) جل في علاه أن ينقي قلوب العباد من كل هذه العلل والأسباب، فيخاطبه بصيغة الإفراد.

أن عظمة (الله) جل في علاه لا تحتاج إلى إقرار أو اعتراف من أحد، لا في الخطاب ولا في غيره. وهذا بخلاف الإنسان الذي تتفاوت مكانته من شخص لآخر. وربما يمثل هذا مرضًا عضالًا عند الإنسان، وبخاصة من يشعر أنه في مكانة كذا وكذا، وربما يكون هذا وهمًا منه، فيعاقب من لا يخاطبه بهذه الصيغة (جلالتكم – فخامتكم – حضرتكم). ولا يمكن الجمع بين المعبود والعابد حتى ولو كان هذا في ألوان الخطاب. ولا نجد أفضل من سورة الإخلاص دليلًا على هذه الخصوصية الإلهية:﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ* اللَّهُ الصَّمَدُ. لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ. وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾(سورة الإخلاص: 1 – 4).

الخلاصة

أن التعامل مع كتاب الله – عز وجل – ينبغي أن يكون تعاملًا بأدب يجمع بين العلم والمعرفة مما يؤدي إلى زيادة هذا الأدب والعلم. وأثبت البحث دقة نظم القرآن الكريم، ودقة استعماله لاسم الفاعل، سواء كان اسمًا ظاهرًا، أو ضميرًا ظاهرًاوأن القرآن الكريم هو كتاب الله المعجز في لفظه ومعناه وتاريخه، استطاع النبي، صلى الله عليه وسلم، تحدي كلام العرب، الذين لم يتركوا محاولة للقضاء على دعوته، ومحاولة تفنيد إعجاز القرآن الكريم الذي أصابه في مقتل، مع أنهم هم الذين ملكوا ناصية اللغة العربية، وملكوا البلاغة العربية من كل أطرافها على مر العصور والدهور. وأن القرآن الكريم، لا يخضع في دراسته إلى المناهج الحديثة القائمة على التجريب والعقل؛ لشموله على الحقائق الغيبية التي لا تخضع لمثل هذه المناهج. ووكذلك اتضح لنا وجوب الإيمان بكل ما ورد في القرآن الكريم، وأنه لا يقبل التجزئة، أو الإيمان بقسم منه دون قسم آخر. ووكذلك عدم الإسراع في صدور الأحكام عند الدراسات التي تخص القرآن الكريم، بمعنى عدم الأخذ بالظاهر السطحي، وإنما يجب على المسلمين والدارسين للقرآن الكريم، التعمق والنظر في الدلالات التحتية، أو في باطن الآيات الكريمة؛ للوصول إلى المعاني الصحيحة، أو قريب منها، حتى يصل المعنى المقصود من المعنى الأساسي لهذه الآيات، أو الاقتراب من مراد الله تعالى من هذه الآية أو تلك.

يوصي الباحث الباحثين أن يُكْثِرُوا من دراسات القرآن الكريم، وأن يجتهدوا أكثر في دراسة الفاعل في القرآن الكريم، أو في الحديث النبوي الشريف، أو في الشعر العربي، وذلك من الناحية النحوية أو الصرفية أو الدلالية، أو التطبيقية، وكذلك يوصي بالاهتمام بدراسة المشتقات سواء كان اسم الفاعل أو اسم المفعول، بأوزانهما وأحكامهما المختلفة، وبإيراد جداول وأرقام توضيحية لذلك. وكذلك يجب أن يُدْرَس (الفاعل والمفعول

وصيغ المبالغة، والصفات المشبهة)، بطريقة نحوية وصرفية ودلالية موحدة، وألَّا تدرس بطريقة متفرقة؛ للحصول على أكبر قدر من الفائدة.

المصادر والمراجع

A'syur, Muhammad Thohir ibn. *Tafsir At-Tahrir Wa Tanwir*. Tunisia: Dar Tunisia li Nasyr, 2007.

Abbas, Hasan. *An-Nahwu Al-Wafi*. 3rd ed. Damascus: Dar Al-Ma'arif, 1988.

Abdushomad. 'Balaghah Nadzm Fi Ism Jalalah Fi Al-Qur'an Al-Karim: Al-Maf'ul Bih Anmudzijan'. *Journal of Analytic Divinity International Refered Journal* 5, no. 2 (2021): 174.

Al-A'tsimain, Muhammad bin Salih. *Syarh Alfiyah Ibn Malik*. Cairo: Dar Ibn Zauji, 2013.

Al-Akbari, Abu Al-Baqai. *At-Tibyan Fi I'rab Al-Qur'an*. Cairo: Dar Halabi, 2009.

Al-Andulisi, Ibn Athiyah. *Al-Muharror Al-Wajiz Fi Tafsir Al-Kitab Al-Aziz*. Beirut-Lebanon: Dar Kutub al-Islamiyah, 2001.

Al-Jurzani, Abdul Qohir. *Dalail Al-I'jaz*. Translated by Mahmud Muhammed Shakir. Cairo: Maktabah Khanzi, 2009.

Al-Mubarad, Abu Abbas Muhammad bin Yazid. *Kitab Al-Muqtadhab*. Cairo: Lajnah Ihya Turats Islami, 1994.

Al-Qurthubi, Abu Bakar. *Al-Jami Li Ahkam Qur'an*. Damascus: Muassasah Risalah, 2006.

An-Nuhas, Abu JA'far Ahmad ibn Muhammad ibn Ismail. *I'rab Al-Qur'an*. Beirut-Lebanon: Dar Al-Ma'rifah, 2008.

As-Samirai, Fadhil Shalih. *Ma'ani An-Nahw*. Oman: Dar Al Fikr, 2000.

As-Suyuthi, Jalaluddin Abdurrahman Abi Bakr. *Al-Muzhir Fi Ulumul Lughah*. Edited by Muhammad Ahmad Jad Al-Maula. Kairo: Isa Al-Bab Al-Halabi, 2014.

Az-Zamakhsyari, Abu Al-Qasim Jarallah Mahmud bin Umar. *Tafsir Al-Kasyaf*. 3rd ed. Beirut-Lebanon: Dar Al-Marefah, 2009.

Darwis, Muhyiddin. *I'rab Al-Qur'an Wa Bayanuh*. Damascus: Darul Irsyad, 1992.

Maufiquddin, Ya'is ibn Ali ibn Ya'is. *Syarh Al-Mufashol*. Damascus: Idarah Thabaah al-Muniroh, 2001.

Sari, Zujaj Abi Ishaq Ibrahim ibn. *Ma'ani Al-Qur'an Wa I'rabuhu*. Beirut: A'lam al-Kutub, 1988.

Sarraj, Ibn. *Al-Ushul An-Nahw*. Beirut: Muassasah Risalah, 1996.

Sibawaih. *Kitab Sibawaih*. Edited by Abu Bisr Amr ibn Ustman ibn Qanbari. Cairo: Maktabah Khanzi, 1988.

Yaqut, Muhammad Sulaiman. *I'rab Al-Qur'an Al-Karim*. Iskandariyah: Dar Ma'rifah Jamiiyah, n.d.